إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا
ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ
أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوۡلَآ
إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ
إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ
﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ
﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ
ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ
ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ
﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الحَدِيدِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ
ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

[٧٧-٧٨-٧٩-٨٠-] ثم ذكر جل وعلا المقسم عليه وهو هذا القرآن الكريم؛ فقال: اعلموا أيها الناس أن هذا القرآن كريم لاشتماله علىٰ مصالح العباد في الدنيا والآخرة. وإنه مصون مستور عن أعين الخلق في كتاب عند الله، هذا الكتاب قيل: إنه اللوح المحفوظ، وقيل: هو المصحف الذي بأيدينا. وهذا القرآن لا يمسه إلا الملائكة الكرام المطهرون، وهذا هو الراجح في هذه الآية، وأيضًا لا يَمَسُّه إلا المتطهرون من الشرك والجنابة والحدث. ثم أخبر سبحانه أنه منزَّلٌ من عند الله رب العالمين.

[٨١-٨٢] وهذا القرآن الذي هذا شأنه وقدره؛ هل يستحق منكم أيها المشركون أن تكذبوا به وتعرضوا عنه ولا تصدقوه. ثم تجعلون شكر النعم التي تفضل الله بها عليكم أنكم تكذبون به سبحانه؛ فتنسبون نزول الأمطار للأنواء، وتنسبون النجاة من المهالك في البحار وغيرها إلىٰ مهارة القائد ونحو ذلك؛ فتكذبون بكون ذلك كله من عند الله.

[٨٣-٨٤-٨٥] ثم بين جل وعلا عجزهم فقال لهم: هل تستطيعون أيها المشركون إذا بلغت نفس أحدكم الحلقوم عند النزع وأنتم حضور عنده وتنظرون إليه؛ أن تمسكوا روحه في جسده وتمنعوا خروجها؟ واعلموا أن الله سبحانه بعلمه وقدرته وملائكته الذين يقبضون أرواحهم أقرب إليه منكم، ولكن لا ترون ذلك.

[٨٦-٨٧] وإذا كنتم أيها المشركون غير مؤمنين أن هناك بعثًا وحسابًا يوم القيامة؛ فهل تستطيعون أن تُرجِعُوا هذه النفس التي بلغت الحلقوم إلىٰ البدن الذي نزعت منه إن كنتم صادقين بأنه لا بعث ولا حساب ولا عقاب.

[٨٨-٨٩] ثم ذكر جل وعلا حال المحتضرين في الدنيا وقسمهم إلىٰ ثلاثة أقسام، فالقسم الأول: إن كان هذا الميت من المحسنين السابقين بالدرجات العلا، فله عند ربه استراحة وسرور وبهجة ورزق حسن وجنة واسعة يتنعم فيها.

[٩٠-٩١] والقسم الثاني: وإن كان هذا الميت من أصحاب اليمين - وهم أقل رتبةً من المقربين -؛ فتبشره الملائكة وتقول له: سلامٌ حاصلٌ لك من إخوانك أصحاب اليمين، ويسلم من كل آفة وشدة وبلية.

[٩٢-٩٣-٩٤] والقسم الثالث: وإن كان هذا الميت من المكذبين بالله ورُسُله الجاحدين بالبعث واليوم الآخر الضالين عن التوحيد والطاعة؛ فضيافته التي أعدت له في النار: ماءٌ حارٌّ مغليٌّ تناهىٰ في الحرارة، يشربه بعد أكله من الزقوم، ويُجعَلُ في نار جهنم يصلاها ويذوقها ويقاسي حرَّها وعذابها؛ نسأل الله السلامة والعافية.

[٩٥] واعلم يانبي الله أن هذا الذي قصصناه عليك هو حق اليقين الذي لا شك فيه؛ لتظاهر الأدلة القاطعة عليه، كأنه مشاهد رأي العين. وللحق مراتب ثلاث، هذه أقواها، والمرتبتان الأخريان ذكرتا في سورة التكاثر، علم اليقين وعين اليقين.

[٩٦] ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ في ختام هذه السورة أن يقدس ربه وينزهه عن كل ما لا يليق.

سورة الحديد

سورة الحديد مدنية وآياتها تسع وعشرون آية.

[١] افتتح جل وعلا السورة مخبراً أن كل من في السماوات والأرض قدسه ومجده ونزهه، وهو المستحق للتنزيه والتقديس قولًا واعتقادًا وعملًا، ثم أخبر أنه العزيز الذي لا ينازعه أحد في سلطانه، الحكيم في ترتيب أمور عباده.

[٢] ثم أخبر جل وعلا أنه وحده له ملك السماوات والأرض وما فيهما؛ فهو المالك المتصرف في خلقه، يحيي ما يشاء من الخلق، ويميت ما يشاء من الخلق، وهو علىٰ كل شيء قدير؛ لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

[٣] ثم أخبر جل وعلا أن ملكه دائم باق؛ وأخبر أنه الأول فليس قبله شيء، والآخر فليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، وهو بكل شيء عليم، لا يفوته شيء، ولا يخفىٰ عليه شيء.

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ
عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ
بَصِيرٞ ٤ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ
٥ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ٦ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم
مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧
وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ
أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ
ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ
لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٩ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا يَسۡتَوِى مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ
وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ
وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٠ مَّن ذَا
ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١١

[٤] يخبر جل وعلا أنه وحده الذي خلق السماوات والأرض بقدرته وحكمته في ستة أيام، قيل: إنها من أيام الدنيا، وقيل: بل هي من الأيام التي قال الله عنها: ﴿وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[الحج:٤٧]، وربما كان هذا هو الأقرب للصواب.

ثم أخبر سبحانه أنه علا وارتفع علىٰ العرش؛ واستوىٰ استواءً يليق بجلاله وعظمته، لا نعرف كيفيته، وهذا هو قول أهل السنة والجماعة، أما غيرهم فيؤولون ويقولون: (استوىٰ) بمعنىٰ: استولىٰ. ويقال لهؤلاء: أليس الله كان قبل ذلك مستولٍ علىٰ كل شيء بما في ذلك العرش، ثم أخبر سبحانه أنه يعلم بواطن الأمور وظواهرها؛ فيعلم ما يدخل في الأرض من حيوان ومطر ومعادن وغير ذلك، وما يخرج منها من نبات وزرع وثمار، وما ينزل من السماء من مطر وغيره، وما يعرج فيها من كل شيء ومن الملائكة والأعمال، ثم أخبر سبحانه أنه مع عباده بعلمه في الأرض والجو والبحر، وفي كل مكان، وهناك معيتان: معية خاصة بالمؤمنين، وهي معية الحفظ والرعاية، ومعية عامة بالبشر وغيرهم وهي معية الرؤية والاطلاع والمتابعة وحفظ الأعمال وتسجيلها، واعلموا أن الله بما تعملون بصير، لا يخفىٰ عليه شيء من أعمالكم وأقوالكم.

[٥] ثم أخبر جل وعلا أن له وحده ملك السماوات والأرض، يتصرف فيهما بما أراد، وكيف شاء من أوامره القدرية والشرعية الجارية علىٰ الحكمة الربانية، وإلىٰ الله مرجع ومصير كل الأمور.

[٦] ثم بين جل وعلا أنه يجعل ظلام الليل يتسلل إلىٰ النهار شيئًا فشيئًا حتىٰ يغشاه الظلام فيصير ليلًا بهيمًا، ثم يعود النهار ثانية فيتسلل شيئًا فشيئًا حتىٰ يعم نور الشمس الكون المقابل للشمس، ثم بين سبحانه أنه عليم بمكنونات الصدور وأسرارها وخواطرها.

[٧] يحث جل وعلا عباده علىٰ الإيمان والإنفاق في سبيله، فأمرهم أن يؤمنوا بالله ورسوله ﷺ، وأن ينفقوا من أموالهم التي جعلهم مستخلفين فيها؛ وفي هذا دليل علىٰ أن المالك الحق هو الله، ولذا يجب علىٰ المستخلف أن يحسن التصرف في نعم الله التي استخلفه عليها، وأن يبذل أمواله علىٰ النحو الذي يريد المستخلف، ثم أثنىٰ سبحانه ومدح الممتثلين، فأخبر أن الذين آمنوا من الناس وأنفقوا مالهم في سبيل الله لهم ثواب عظيم، لا يعلم قدره إلا الله.

[٨] ثم قال جل وعلا لهؤلاء المشركين توبيخًا لهم: وأيُّ عذر لكم أيها المشركون علىٰ ترك الإيمان بالله ورسوله ﷺ؟ لا سيما والرسول ﷺ بين أظهركم، وقد بين لكم من آيات القرآن ما فيه بلاغ وحجة لتؤمنوا به جل في علاه، وقد أخذ سبحانه عليكم العهود والمواثيق علىٰ هذا الإيمان، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:١٧٢]، وحصل ما يقتضي أن تؤمنوا لسبب من الأسباب، وعلىٰ رأس هذه الأسباب وجود الرسول ﷺ بينكم يدعوكم إلىٰ هذا الإيمان، ويقنعكم بوجوب الاعتصام به.

[٩] ثم بين سبحانه أن من نعمه علىٰ عباده أنه نزل علىٰ عبده محمد ﷺ آيات واضحات ليخرجكم من ظلمات الكفر والجهل إلىٰ نور الإيمان والعلم، وأنه سبحانه كثير الرحمة والرأفة بعباده المؤمنين؛ حيث أنزل عليكم أفضل كتبه وأرسل لكم أفضل رسله.

[١٠] ثم قال جل وعلا لأولئك الممسكين المانعين للنفقة في سبيل الله: فما لكم أيها الناس لا تنفقون مما رزقكم الله، وأنتم تعلمون أن أموالكم صائرة إليه إن لم تنفقوها في حياتكم في سبيل الله؛ لأنه له سبحانه ميراث السماوات والأرض، يرث كلَّ ما فيهما، واعلموا أنه لا يستوي من آمن وهاجر وأنفق ماله وقاتل في سبيل الله قبل فتح مكة؛ فأولئك أعظم منزلة عند الله وأرفع درجة من الذين أنفقوا أموالهم في سبيله وقاتلوا بعد فتح مكة، وقد وعد الله كِلا الفريقين الجنة، والله بما تعملون خبير، لا يخفىٰ عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها، بأن لكل شخص ما يستحق.

[١١] ثم حث جل وعلا علىٰ الإنفاق في سبيله؛ فبين أن من ينفق في سبيل الله يرجو ثوابه كمن يُقرض لله، وأن من يفعل ذلك محتسبًا الأجر والثواب عند الله فإن الله يضاعف له أجره أضعافًا كثيرة، وله فوق ذلك جزاء كريم من الله وهو دخول الجنة.

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ
لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ
فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ
وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ
وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ
حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ
فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ مَأْوَاكُمُ النَّارُ ۖ هِيَ مَوْلَاكُمْ ۖ
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ
قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ
مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا
لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ
وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾

[١٢] يذكر جل وعلا مشهدًا مما يكون يوم الحشر يوم أن ترىٰ حال المؤمنين المتقين يوم القيامة وهم يعبرون الصراط؛ حيث يتقدمهم نورهم فيكون أمامهم وعن يمينهم، ثم تستقبلهم الملائكة وتقول لهم: بشراكم اليوم تدخلون جنات واسعة تجري من تحت أشجارها وقصورها الأنهار، لا تخرجون منها أبدًا، ذلك الجزاء الذي لا يقدَّر قدره هو الفوز العظيم لكم في الآخرة.

[١٣] واذكر أيها الإنسان يوم أن يقول المنافقون والمنافقات الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر؛ يقولون للمؤمنين وهم علىٰ الصراط علىٰ سبيل التذلل والتحسر: تريثوا في سيركم حتىٰ نلحق بكم فنستضيء من نوركم، فتقول لهم الملائكة سخرية منهم: ارجعوا إلىٰ الدنيا واعملوا الصالحات لتحصلوا علىٰ مثل هذا النور، ولكن هيهات هيهات، وفي هذه الحال يُفْصَلُ بين المؤمنين والمنافقين بسور له باب، باطنه الذي يلي المؤمنين فيه الرحمة، أي: فيه الجنة، وظاهرة الذي يلي المنافقين فيه العذاب، أي: فيه جهنم التي يعذبون فيها.

[١٤] ثم ينادي المنافقون علىٰ المؤمنين، ويقولون لهم تضرعًا ورحمة: يامعشر المؤمنين ألم نكن معكم في الإسلام، ونعمل ما تعملون من صلاةٍ وصيام ونفقةٍ وجهادٍ وغيرها؟! فيقول لهم المؤمنون: بلىٰ كنتم معنا في ذلك في الظاهر، ولكنكم فتنتم أنفسكم بالنفاق وإبطان الكفر، وتربصتم بالنبي ﷺ ومن معه من المؤمنين الموت والهزيمةَ والاضمحلال، وشككتم في أمر الدين، وغرَّتكم الأماني الكاذبة، والأطماع الزائفة، وأقمتم علىٰ ذلك حتىٰ انتهت آجالكم، وجاءكم الموت، وخدعكم الشيطان فزين لكم إبطان الكفر؛ فاطمأننتم إليه وأطعتموه.

[١٥] واعلموا أيها المنافقون في هذا اليوم الرهيب لا يُقبل منكم أن تفدوا أنفسكم من العذاب - ولو دفعتم مثل ما في الأرض ذهبًا ومثله معه -؛ فلن ينفعكم ولن يقبل منكم، ولا من الذين كفروا بالله ظاهرًا وباطنًا، واعلموا أن منزلكم الذي تأوون إليه هو النار، فهي أولىٰ بكم لخبث نفوسكم، وبئس المصير الذي صرتم إليه، وقدمتم عليه.

[١٦] ثم خاطب جل وعلا عباده المؤمنين حاضًا لهم علىٰ المداومة علىٰ الطاعة، فقال: ألم يحن الوقت للذين آمنوا بالله وصدقوا الرسول ﷺ واتبعوا هديه أن تلين قلوبهم عند ذكر الله وسماع آياته، ولا يكونوا كاليهود والنصارىٰ الذين لما طال عليهم الزمان بدلوا كلام الله فقست قلوبهم؛ فكثير من هؤلاء خارجون عن طاعة الله، ولكن استثنىٰ سبحانه منهم نخبة كانوا صالحين حفظًا لأهل كرامته.

[١٧] واعلموا أيها الناس أن الله جل وعلا يحيي الأرض القاحلةَ الجدباءَ الميتةَ بإنزال المطر عليها؛ فتنبت وتخضرّ وتزهو، كذلك سبحانه قادرٌ علىٰ بعث الأجسام بعد موتها وإحيائها مرَّةً أخرىٰ، وقد وضح سبحانه للناس الحجج والبراهين الدالة علىٰ كمال قدرته ووحدانيته لكي يعقلوا ويتدبروا ما أنزل الله في القرآن.

[١٨] ثم أعاد جل وعلا الثناء علىٰ المنفقين في سبيل الله، ووعد بمضاعفة أجورهم، وجعل ثقتهم في ثواب الله كأنه إقراض، فقال: واعلموا أيها الناس بأن المتصدقين والمتصدقات بأموالهم، الذين أنفقوا أموالهم في سبيل الله ابتغاء وجهه تعالىٰ؛ يضاعف لهم ثواب إنفاقهم، ولهم فوق ذلك ثواب جزيل حسن وهو الجنة.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ
عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٩ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ
ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ
وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ
مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠
سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ
وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ
ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١ مَآ أَصَابَ
مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن
قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا
تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ
ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٤

[١٩] واعلموا أيها الناس أن الذين آمنوا بالله وأقروا بوحدانيته، وصدقوا رسله أولئك هم في منزلة الصديقين عند الله؛ لقوة إيمانهم وثقتهم بالله، واعلموا أن الذين استشهدوا في المعارك في سبيل الله؛ لهم أجرٌ عظيمٌ عند الله، ونورٌ يُكرمهم الله به، أما الذين كفروا بالله وكذبوا بآياته وحججه فأولئك أصحاب الجحيم، يعذبون فيها، لا أجر لهم ولا نور.

[٢٠] واعلموا أيها الناس أنما الحياة الدنيا التي تعيشون فيها، لعب ولهو كلعب الصبيان ولهوهم، وزينة تتزينون بها في ملابسكم ومساكنكم، وتفاخر بينكم بمتاعها كتفاخر الأقران، وتباه بكثرة الأموال والأولاد كتكاثر الدُّهقان[١]، فلا تستحق كل هذا الحماس وهذا الوقت في طلبها، وهذه الدنيا مثلها كمثل مطر أعجب الزُّرَّاع نباته، لكن عمره قصير، أسابيع ثم يهيج فتراه مصفرًا بعد خضرته، ثم يكون فُتاتًا يابسًا تذروه الرياح، ثم بين سبحانه أن من أقبل علىٰ الدنيا ولم يجعلها زادًا للآخرة فإن له في الآخرة عذابًا شديدًا، وأما من استفاد منها في طلب رضي الله وجعلها سُلَّمًا للآخرة فإن له مغفرة لذنوبه ورضوانًا من الله، ثم اعلموا أن الحياة الدنيا لمن عمل لها ناسيًا آخرته ما هي إلا متاع الغرور، تتمتعون بها قليلًا ثم إلىٰ ربكم ترجعون.

[٢١] ثم حث جل وعلا عباده علىٰ نيل مرضاة الله؛ فأمرهم أن يسارعوا في عمل الخيرات والأعمال الصالحات التي تكون سببًا في مغفرة الله لهم، وسببًا في إدخالهم جنة عرضها كعرض السماء والأرض، وهذه الجنة هيأها سبحانه للذين آمنوا به وصدقوا رسله، واعلموا أن ذلك الفضل يؤتيه الله من يشاء من عباده، والله ذو الفضل العظيم علىٰ عباده المؤمنين.

[٢٢] ثم بين جل وعلا أن ما يصاب به العباد من المصائب في الأرض من جدب أو زلزلة أو كوارث ونحو ذلك، وما يصابون به في أنفسهم من مرض أو موت وغير ذلك؛ قد سبق بذلك قضاؤه وقدره، وثبت في اللوح المحفوظ من قبل أن يخلق الخليقة، واعلموا أن إثبات هذه المصائب في اللوح المحفوظ علىٰ كثرتها غير عسير عليه جل في علاه.

[٢٣] ثم بين جل وعلا أنه فعل ذلك لكي لا تحزنوا علىٰ ما فاتكم من الدنيا، ولا تفرحوا بما أعطاكم الله من الدنيا فرح أشرٍ وبطرٍ؛ فإن ذلك زائلٌ عن قريب، والله لا يحب كل متكبِّرٍ بما أُعطي من الدنيا، فخورٍ علىٰ الناس بما في يديه.

[٢٤] ثم بين جل وعلا أوصاف هؤلاء المختالين الفخورين؛ فأخبر أنهم يبخلون بما آتاهم الله من المال ولا ينفقونه في سبيل الله؛ بل وأقبح من ذلك أنهم يأمرون الناس بالبخل، ثم أخبر سبحانه بأن من يعرض عن الإنفاق في سبيل الله فإن الله هو الغني عنه وعن نفقته، الحميد الذي له كل وصف حسن وفعل جميل.

(١) الدهقان: التاجر صاحب المال والعقار.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ
بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ
وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم
بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا
فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ۚ وَرَهْبَانِيَّةً
ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ
فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا
تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ
أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ
ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

[٢٥] أخبر جل وعلا أنه أرسل رسله بالمعجزات البينة، وأنزل معهم الشرائع والأحكام الظاهرة، لإفهام البشر بما يصلحهم وينجيهم من النار، وأوجد الميزان ليتبعوا ما أمروا به من العدل، ثم أخبر سبحانه بأنه خلق الحديد وجعل فيه قوة شديدة؛ حيث تصنع منه السيوف والرماح وما أشبه ذلك لردع العدو، كما أن فيه منافع كثيرة للناس فيصنع منه السكين والفأس والقدوم والقدور ونحو ذلك، وليعلم الله من الذي سيتبع الحق منهم فينصر دينه وينصر رسله، ويستعمل نعمه فيما خلقت له، واعلموا أن الله جل في علاه قوي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، عزيز لا يغالب.

وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾، أي: وأوجدنا الحديد، وعبر عنه بالإنزال لأن كل التعاليم والأوامر تنزل منه جل وعلا.

[٢٦] ثم ذكر جل وعلا بما أنعم به علىٰ أنبيائه من النعم الجسام، فأخبر أنه أرسل نوحًا وإبراهيم عليهما السلام إلىٰ قومهما لهدايتهم وإرشادهم، وأنه لم يرسل بعدهما رسلًا بشرائع إلا من ذريتهما تشريفًا وتكريمًا لهما، ثم بين سبحانه بأن من ذريتهما أناسًا مهتدين إلىٰ الحق، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله وعن الطريق المستقيم.

[٢٧] ثم أخبر جل وعلا أنه أرسل بعد نوح وإبراهيم الرسل متلاحقين رسولًا بعد رسول حتىٰ انتهت الرسالة في بني إسرائيل إلىٰ عيسىٰ ابن مريم، وهو من ذرية إبراهيم من جهة أمه، وأعطاه سبحانه الإنجيل ليتحاكم الناس إليه، وأنه جعل في قلوب أتباعه الحواريين الشفقة واللين، فكانوا متوادِّين متراحمين فيما بينهم، ولكن بعض هؤلاء الحواريين ابتدعوا للناس وغلوا في الدين، واخترعوا أمورًا لم يطلبها الله منهم قصدوا بها طاعة الله، وإنما طلب منهم سبحانه القيام بالأعمال الصالحة التي توصل إلىٰ رضوانه، ولم يطلب منهم الانقطاع للعبادة والرهبنة، ولكن بمرور الأيام لم يحافظوا علىٰ ما تقتضيه هذه الرهبانية من الزهد والتقىٰ والعفاف حق المحافظة؛ بل بدلوا وحرفوا حتىٰ صارت طقوسًا وبدعًا ما أنزل الله بها من سلطان، وغيروا دين عيسىٰ عليه السلام، ثم أخبر سبحانه أنه أعطىٰ الذين آمنوا من الحواريين أجرهم وثوابهم، وأن كثيرًا منهم كانوا خارجين عن طاعة الله بالتكذيب بما جاءهم به رسولهم.

[٢٨] وهذا نداء من الله جل وعلا لعباده الذين آمنوا بالله حق الإيمان؛ حيث أمرهم سبحانه بأن يمتثلوا أوامره ويجتنبوا نواهيه، وأن يؤمنوا برسوله محمد ﷺ؛ فإن فعلتم ذلك فإنه سبحانه يعطكم ضعفين من رحمته وفضله؛ لإيمانكم برسوله محمد ﷺ وبمن قبله من الرسل، ويجعل لكم نورًا تهتدون به يوم القيامة، ويغفر لكم ذنوبكم، والله واسع المغفرة والرحمة لعباده المتقين التائبين.

[٢٩] ختم جل وعلا السورة ببيان أن أمر النبوة ليس حسب أهواء الناس، فقال سبحانه: اعلموا يامن آمنتم بمحمد ﷺ وبمن قبله من الرسل أننا أعطيناكم هذا الأجر وهذا الثواب المضاعف ليعلم أهل الكتاب الذين يريدون أن يحتكروا فضل الله وأن لا تخرج الرسالة عنهم؛ فلم يؤمنوا بمحمد ﷺ؛ بأنهم لا يقدرون عل شيء من فضل الله يكسبونه لأنفسهم أو يمنحونه لغيرهم، وأن الفضل بيد الله وحده يؤتيه من يشاء من عباده، فهو صاحب الفضل العظيم علىٰ خلقه؛ فله الحمد في الأولىٰ والآخرة.